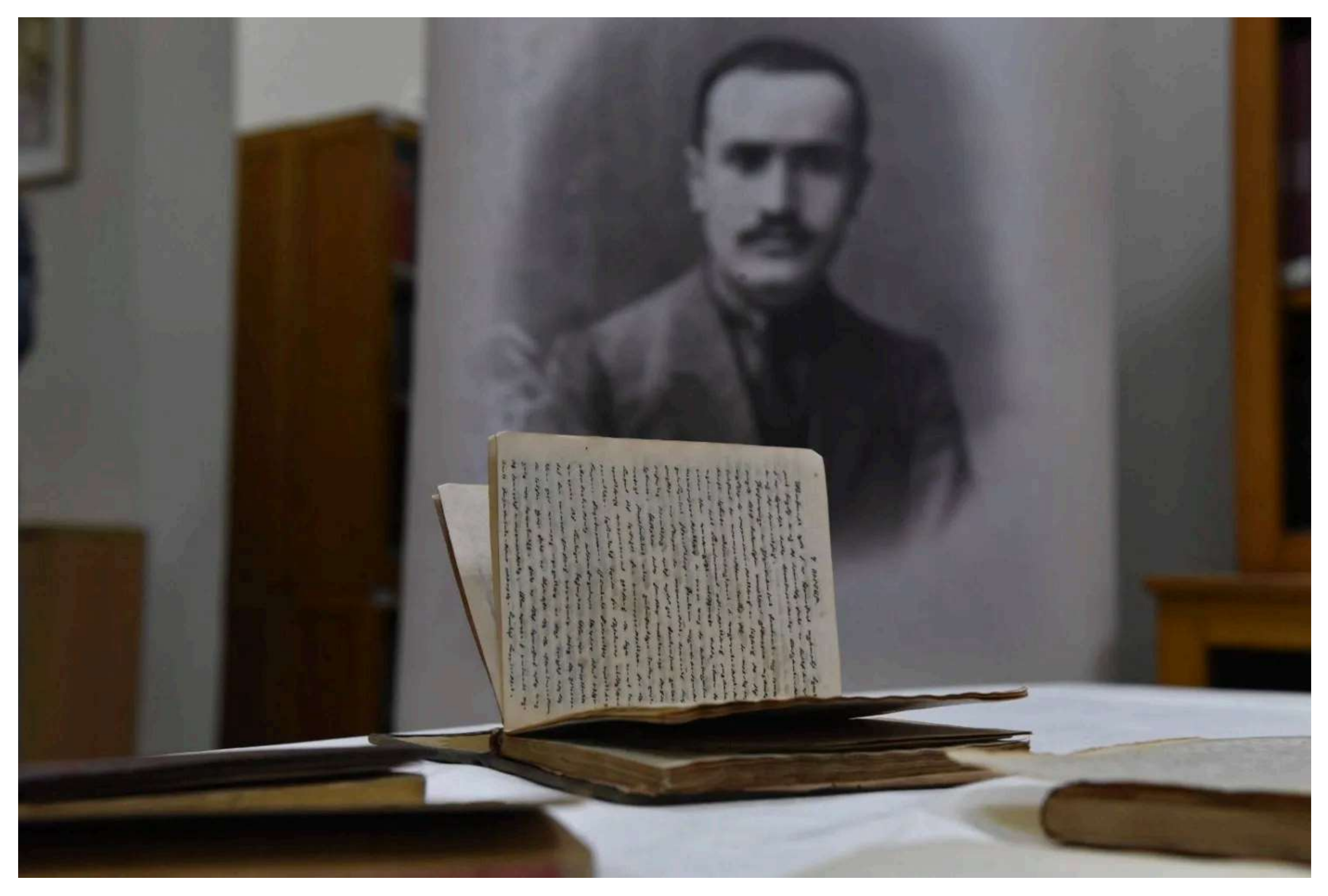
يوميات الشرق

مذكرات الصحافي هاروتيون زينيان إلى الضوء لإنصاف الأرمن
حفيدته سيرا أرسلانيان لـ«الشرق الأوسط»: حلمُه سيتحقّق أخيراً

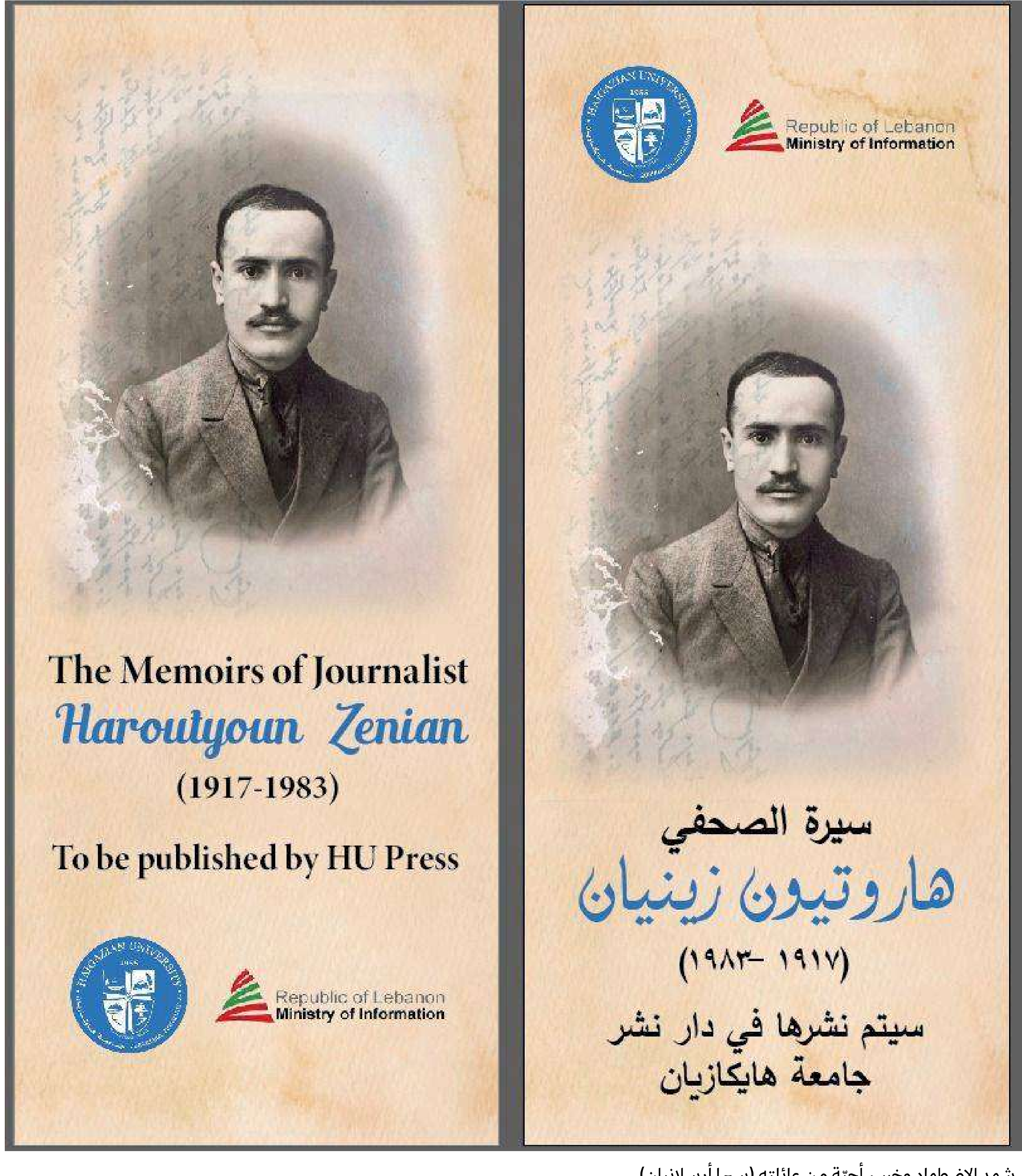


الكتابة شكَّلت عزاءه (سيرا أرسلانيان)

بيروت: فاطمة عبد الله

نُشر: 15:57-26 يناير 2025 م ـ 26 رَجب 1446 هـ

تَذكُر سيرا أرسلانيان، حفيدة الصحافي اللبناني الأرمني هاروتيون زينيان، مشهداً من الطفولة حين حمَّلها جدُّها الأمانة. قال لها، ما معناه: «إرثي بين يديكِ، أخرجيه إلى النور ولا تفرّطي به». كبِرت الصغيرة وفي بالها كلماته، ترنُّ أصداؤها، إلى حدِّ أنه صار عصياً على الداخل الاستكانة دون تحقُّق الرغبة. بعزمِ جامعة هايكازيان، بالتعاون مع وزارة الإعلام اللبنانية، نشرَ مذكراته، تشعر بما يُشبه الاستلقاء بعد عصف وتلاطُم. تروي، لـ«الشرق الأوسط»، أنه حَمَل شغفاً فريداً بالحِبر والقلم، وأصرَّ على توثيق تجربته: «وُلد عام 1890 في مدينة عينتاب، حيث الأكثرية الأرمنية. التحق بالجيش العثماني حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وقرار الإبادة. شهد الاضطهاد، وخسر أحبّة من عائلته. الكتابة شكَّلت عزاءه».



شهد الاضطهاد وخسر أحبّة من عائلته (سيرا أرسلانيان)

امتهن هاروتيون زينيان الحِبر من الأعوام 1911 إلى 1975. تُخبر حفيدته أنه أحبَّ التصوير أيضاً، فحوَّل منزله إلى استوديو لممارسة الولع. له حكايات تمرُّ مذكراته على فصولها وأبرز محطّاتها. وهذه تتخطّى الشخصيّ نحو الجماعة الأرمنية لتَشارُك طَعْم الألم. تُعجَب سيرا أرسلانيان بمثابرته وإصراره، تراه اختزالاً

لروح أرمينيا المتفوّقة على موتها. فلمّا عَبَر درب الاضطهاد ورأى أصناف الإقصاء والمحو، حفظت ذاكرته المشهد ودوَّن بالقلم قسوته.

كان في بداية العشرينات حين بدأ يُطارَد. «تفتّحت العيون على المثقفين، وهو منهم. أُسمّيها طريق الموت، تلك التي مرَّ عليها بعد التخلّي عن ماله وممتلكاته. قرار التخلُّص من الأرمن جعله يفكّر بردٍّ دفاعيّ. كانت الكتابة كلّ ما بقي له. بالقلم دوَّن نجاته».



امتهن هاروتيون زينيان الحِبر من أعوام 1911 إلى 1975 (سيرا أرسلانيان)

تُكمل الحفيدة السرد: «كتب يومياته؛ وأين توقّف على تلك الطريق المرعبة، وكيف خطَّ صموده. ولمّا وصل إلى حلب، سجَّل رحلة أرمنيٍّ هرب من المجازر عبر مقالات نشرتها مجلات أرمنية. وأخبر كيف قُتل والده وبعض أخواته. بواخر فرنسية نقلت أرمن حلب إلى بيروت. وفي منطقة برج حمود، أقاموا في خيم. ولمّا خضعوا للحَجْر (Quarantine)، سُمِّيت المنطقة كارنتينا. مسارٌ وثّقه بخطّ يده».

بمَنْحه الجنسية اللبنانية، شعر هاروتيون زينيان بالوطن بعد انسلاخ وتشرُّد. تقول حفيدته: «بذلك، اشتعل الفضول والشغف حيال لبنان. مراراً ردَّد أنه يُحبّه، وفيه ملأ ما فَرغ. جدّي خسر كل شيء، ولم يتحسَّر. تطلَّع إلى الأمام وواصل السير. لم يحمل سلاحاً. فضَّل الحبر والقلم، وكانت له مكانة في الصحف الصادرة في لبنان باللغة الأرمنية. جمع بعض المال، فاستأجر منزلاً وتزوّج. موقع المنزل في وسط بيروت جعله ينفتح على العالم. كثيرون شجّعوه على متابعة التصوير والكتابة، وألهموه التميُّز. كتب المعاناة والنجاح».



حَمَل شغفاً فريداً بالحبر والقلم وأصرَّ على توثيق تجربته (سيرا أرسلانيان)

تتمنّى لو راكمت مزيداً من السنوات لتُدرك بوعي أكبر قيمة وَقْع الجدّ آنذاك. لكنها الطفولة؛ ونوعها غالباً يكتفي بالتفسير الأول للأشياء. كبِرت، فشعرت بالإرث، وبضرورة أن يُشارَك؛ لعلَّ عدالةً تتحقّق، وسكينةً تحلّ. تقول: «تقلُّ المعلومات المُستنِدة إلى وقائع تتعلّق بعذاب الأرمن واضطهادهم. على الإنترنت، مُورِس المحو أيضاً. بتعاون مع وزارة الإعلام وجامعة هايكازيان، نأمل نشر مذكراته بكتاب موحّد باللغات العربية والإنجليزية والأرمنية. تلك المذكرات شهادة حياة».



بمَنْحه الجنسية اللبنانية شعر هاروتيون زينيان بالوطن (سيرا أرسلانيان)

تجمعها بوزير الإعلام زياد المكاري صداقة. مرّات، قال لها: «جدّكِ إعلاميّ، حدِّثيني عنه». تقول إنه ميّالٌ إلى الأقليات ويتبنّى رَفْع أصواتها. وتُتابع: «شجّعني على تحقيق حلمٍ مؤجَّل. لطالما شعرتُ بأنني أَدينُ لجدّي، وعليَّ إيفاء الدَّيْن. أوصاني بإرثه، والآن تُتاح الفرصة. دفاتره الصغيرة التي دوَّن عليها بلغته الأرمنية القديمة، وبخطّه، تعود إلى عام 1911. بعض الوثائق، يفوق عمره القرن. بهذا التعاون بين الوزارة والجامعة، يتّخذ المشروع الطَموح مساره نحو الضوء. بجَمْع التمويل المطلوب، تتحوَّل الفكرة إلى واقع. الخطوة الأولى أُنجِزت، والكتابات بعهدة الجامعة. العمل يتواصل على فكّ الأحرف القديمة، وإعادة صياغتها قبل مرحلتَي التنقيح والنشر. ولدينا صورٌ التقطَها ستُرفَق بالكتاب».


HAIGAZIAN UNIVERSITY
1955
Republic of Lebanon
Ministry of Information
سيرة الصحفي
هاروتيون زينيان
(١٩١٧ - ١٩٨٣)
سيتم نشرها في دار نشر
جامعة هايكازيان

تمنح الوقت للعناية بوالدتها؛ ابنة هاروتيون زينيان، البالغة 94 عاماً. وتطمئنّ إلى أنّ الحلم سيُزهر قريباً. تلمح إنصافاً للأرواح الأرمنية وللصوت الذي أبى إسكاته: «الشعب الأرمني أكمل الطريق بالقلم والعِلم. توثيق الحقيقة يُحقّق العدالة».

مواضيع

مذكرات | كتب | شؤون مكتبية | أرمينيا | لبنان